الخطوط العامة في تطور الشعر العربي

من الجاهلية حتى العصر العباسي

داود سلوم

١ ـ الشعراء الجاهليون :

يعتبر الاغاني من المراجع الرئيسة في دراسة الشعر العربي الذي انتهى الى زمن المؤلف ابي الفرج الاصفهاني واعتمدنا عليه هنا اعتمادا كليا في استنباط هذه الخطوط العامة .

وقد انفرد ابو الفرج الاصفهاني بذكر خلاصة يضعها امام ترجمة الشاعر بعد ان يذكر نسبه ثم يتجه الى الروايات التي تؤكد الخلاصة وتوضحها وهذه الخلاصة هي موجز رأيه في المترجم له وما صحّ عنده من الرأي وعلى ذلك فما ورد في هذه الخلاصة من احكام هي خير ممثل للشاعر او منزلته او دوره في الحياة وانها تمثل ما يستنتج الباحث التالي لابي الفرج من آراء او وجهات نظر في العصر الذي يؤرخ له .

أ ـ دواعي الشعر في الجاهلية :

ومن خلاصة ما ترجم للشعراء الجاهليين يبدو ان ابا الفرج الاصفهاني يؤكد على سببين مهمين يبعثان على قول الشعر وهما : الحرب والحب . والظاهر ان اقتران الشعر بالحرب سببه ما يجيش في نفس المحارب من فخر ونجدة وبأس او احتقار للاعداء والذي يبدو ان الرجل يكون فارساً اولاً قبل ان يكون شاعرا وعلى هذا فان اغلب الفرسان هم من الشعراء وليس اغلب الشعراء هم من الفرسان وان الشاعر يقدمه اهلوه اذا كان شجاعا بالاضافة الى شاعريته وان الشعر وحده لا يؤهل صاحبه لقيادة القبيلة وهذا يفسر لنا نفرة العوائل المالكة في الجزيرة من قول ابنائها الشعر كما نرى ذلك من سيرة امرىء القيس .

وان الشـــعر كما يبدو في فترة طويلة من تاريخه كان يقال للحرب والحب فقط ولم يستخدم الشعر للاثابة والربح الا في فترة متأخرة وقد زعم العرب ان اول من تكسب بشعره انما هو الاعشى[1] !

ب ـ نشاط المديح :

لا شك ان الشعراء بدأوا يكسبون بالشعر في الوقت الذي بدأت فيه السلطات تتركز وحين ظهرت الدويلات العربية ففي القصص القديم ان الشعراء قصدوا سيف ابن ذي يزن مهنئين وانه اكرم شعراءهم وظهرت امثال هذه الوفادات على المناذرة والغساسنة فقد كان النابغة جليس النعمان وشاعره وقصد المناذرة طرفة والمتلمس وان قصة الجائزة والصحيفة التي قتل بسببها طرفة معروفة • وان حسان كان يفد كما يذكر التاريخ على الغساسنة وانهم ارسلوا له جائزة في الاسلام حين وفد وافد المسلمين الى القسطنطينية وقال حسان لعمر في المسجد : اني اشـم عندك روائح آل جفنة !

واثر في الشعر الجاهلي الحب والغزل ودفعته حرية المرأة الجاهلية في علاقتها بالرجال فهي اكثر حرية من اختها المتزمتة في الاسلام • فقد كان يباح لها من الصلات ما لا يباح للمرأة المسلمة وكان تطلق الرجل[2] كما ان طرق تملكها بالقوة وسباءها ونهبها كانت طريقة سائدة متبعة وهي بذاتها المسؤولة عن وأد البنات لسلوكها بين المحافظين منهم كما يبدو •

جـ ـ الشعراء من غير العرب :

وفي العصر الجاهلي كان الشـعر اكثر شيوعاً بين غير العرب كاليهود وبين العرب من اصحاب الديانات المختلفة كما انه كان شائعاً بين عبيدهم على كثرة لأن الوثنية تتسع لكل هؤلاء ولم يتسع الاسلام لاصحاب الديانات الاخرى وقد ابعدهم الاسلام وعزلهم وكانت اللغة في الجاهلية منحصرة في جزيرتها وهي لغة القـوم كلهم على اختلاف الامر فاصبحت اللغة العربية لغة القرآن والدين وبفساد ألسن اهل الحواضر في الجزيرة انقطعت صلاتهم باللغـــة وماتت البواعث التي كانوا يقولون فيها الشعر • فلم يعد اليهود يغزون احداً ولم يبح لهم الغزل اذا كان في غير نساء اليهود وقتل بعض الشعراء او العشاق من اليهود الذين ضبطوا مع نسـاء

عربيات كان أزواجهن في الفتوح ولم تبق في تغلب المسيحية الا صُبابة رأيناها في الاخطل وبعض الشعراء المخضرمين من المسيحيين وما كان العصر الاموي ينتهي حتى اختفى الشعراء النصارى من الافق الادبي ولم يبق منهم الا نماذج احصوا في كتاب « شعراء النصرانية فى الاسلام » لشيخو •

٢ ـ الشـــعراء المخضرمون :

في هذه الفترة قلّ الشعر قلة ملاحظة واعطى الاقدمون عللا لا قيمة لها فانهم حدثونا عن اثر القرآن الكريم عليهم فى قوة بيانه فالجم شعراءهم واخافهم لفخامة اسلوبه وعظمة بيانه وهذا قول اعتباطي لا قيمة له لاننا لو نظرنا الى ادب النثر المعاصر لهذه الفترة لرأينا ان القرآن قد اغنى تعابيرهم واعطاهم مادة جديدة ووسع في مفردات اللغة وهيأ لهم افكاراً وموضوعات لم يحلموا بها وفتح لهم آفاقاً واســـعة اخرى •

الا ان السبب الحقيقي ان كافة الجيل المعاصر لهذه الفترة اعدّ للنفير العام واستخدم في الفتوح وكان العرب قد انشغلوا بهذا الشاغل الجديد عن رواية ونقل الاشعار وقد كادوا ان ينشغلوا عن القرآن نفســـه وان يختلفوا في آياته لولا ان أسرعت الدولة الى تأليف لجنة رسمية في زمن عثمان وثبتت النص على صيغة واحدة ما اختلف المسلمون بعدها عليها • والذى يلاحظ ان اكثر الشعر الذي بقي من شعر هذه الفترة انما هو شعر اولاد العوائل الراقية المتنفذة التي كانت تسود في الجاهلية على اساس النفوذ الاجتماعي والمالي الذى تملكه ورغم ان الاسلام اراد ان يستفيد من كافة العناصر الا ان الرسول اضطر لاسباب عدة ان يستخدم او يكرم او يؤلف قلوب طبقة كبيرة من المتنفذين واصحاب السلطان وهو قد ابقى الى حد ما القديم على قدمه فقد كتب الكتب لرؤساء الوفود الوثنية فرجعت هذه الوفود مسلمة على رأسها نفس الرؤساء الذين كانوا يحكمون قومهم في الجاهلية ولذلك لم تتأثر مصالح هذه الطبقات من قليل او بعيد وانما زادها دخولهم في الاسلام رسوخاً •

وحين ولي عمر قويت فكرة دولة العرب للعرب ولذلك فقد كان كل قادته عربا واغلبهم من قريش وكذلك ولاته وقضاته الا ما ندر ••• وضاق هذا التفضيل في زمن عثمان حتى أصبح عائليا الى حد ما • وبعد ان توسع الاسلام وانتشر عاد

الامويون فحصروه في العرب لسعة الرقعة واخرجت العناصر غير العربية من الحكم الى حد بعيد ...

وقد وردت فلتات من شعر الطبقات الدنيا من شعر الجنود من ابناء العوائل المسلمة الذين لا يملكون المجد الجاهلي يعلنون هذا الغضب وهذه الثورة على قريش بشكل خاص وبدأوا يشعرون انهم لا يحاربون للاسلام وانما لاشباع نهم رجالات قريش من القواد والامراء والجباة قال شاعر من المخضرمين في الحماسة :

وان امرأ يعطي الاسنة نحره ... وراء قريش لا اعد له عقلا

يذمون لي الدنيا وقد ذهبوا بها ... فما تركوا فيها الملتمس ثُعلا

وقال آخر يتهم سعد بن ابي وقاص بانه لا يعرض نفسه للموت وانما يتمسك بالامارة ويتنعم بها :

نقاتل حتى انزل الله نصره ... وسعد بباب القادسية معصم

فابنا وقد آمت نساء كثيرة ... ونسوة سعد ليس فيهن أيم

وقال عمرو بن معد يكرب رغم جرأته في مطالبة عمر بزيادة عطائه :

اذا قتلنا فلا يبكي لنا احد ... قالت قريش : أجل تلك المقادير

نعطى السوية من طعن له نفذ ... ولا سوية اذ تعطى الدنانير !

وقال نافع بن الاسود التميمي :

ولما اتى الاسلام كانوا ائمة ... وبادوا معداً كلها بالجرائم !

وكتب يزيد بن الصقع الى عمر يخبره عن سلوك جباته :

نؤوب اذا أبوا ونغزوا اذا غزوا ... فانى لهم وفر ولسنا ذوى وفر

وامتد هذا الاحتجاج على هذا السلوك وظهر فى العصر الاموي ايضا على لسان شعراء القبائل التي حرم ابناؤها السلطة والمجد فقال جواس بن القعطل الكلبي :

صبغت اميه بالدماء رماحنا ... وطوت اميه دوننا دنياها

اسباب ضياع الشعر أو قلته : ـ

فلبعد الرقعة وكثرة القتل الذي وقع في الجيوش العربية وانشغال الناس بغير أمور الشعر تشتّت نصوص كثيرة من هذا الشعر وتوزع ما بقي منه في بطون كتب التاريخ تحت عناوين المعارك وامن الشعراء من الرؤساء واولادهم الذين اقاموا في المراكز والامصار على شعرهم من الضياع وكذلك اولئك الذين لهم علاقة ما بالسلطة المركزية لطبيعة التاريخ الثيوقراطية عند المسلمين •

ومن الاسباب التي اضعفت هذا الشعر ان كثيرا من دواعيه حاربها الخلفاء المتزمتون • فقد نهى عمر عن رواية شعر كثير قيل في خصومة قريش في كفرها مع الاسلام ونهى الرسول عن رواية بعض القصائد الاخرى التي هجي فيها المسلمون واصبح الشعراء كذلك يعاقبون اذا نظموا الشعر فيما يحرمه الاسلام كشرب الخمر او القمار او ما شابه فما قيل من هذا الشعر اطرح للاسباب المذكورة آنفاً • وانصرف كثير من الشعراء عن طرق هذه الموضوعات خوف العقاب فأعقبهم طول السكوت الانصراف عن قول الشعر • فقد انصرف لبيد العامري مختاراً عن الشعر الى التأمل في القرآن • وقد يضطر الشعر الشاعر على القول رغم الخوف وقد سجل ذلك النعمان بن عدي بن نظلة وكان والي عمر على ميسان :

الاهل اتى الحسناء ان حليلها ... بميسان يسقى من زجاج وحنتم
اذا شئت غنتني دهاقين قرية ... وصنّاجة تجثو على حرف ميسم
فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني ... ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه ... تنادمنا بالجوسق المتهدم

وفي هذه الفترة عزلت اديان اخرى عن المشاركة الثقافية لانعدام الدوافع التي تدفعهم الى نظم الشعر ولاعتبارهم في الحكم الجديد مواطنين ليس لهم نفس الامتيازات التي للمواطن المسلم ونريد بذلك بصورة خاصة ادب الشعراء اليهود ومما ساعد على ذلك شعور اليهود بغربتهم في الجزيرة ويهود الجزيرة كما تؤكد كتب الانساب لم يكونوا عربا وانما هم غرباء عن الجزيرة واستخدمهم النظام الجديد كعمال وفلاحين واطباء وصيادلة وما شاكل وابعدهم بذلك عن الفن ودائرته ولم

يلتفت الرواة صوبهم بعد الاسلام فلم يسجلوا ما نظموه الا ما ورد لعلاقته بحادثة او قضية ترتبط بالدولة ودينها ورعيتها فبعد ان سجل صاحب الاغاني اسماء عدة شعراء يهود في الجاهلية كغريض اليهودي والسموءل بن عاديا وسعية بن غريض والربيع بن ابي الحقيق واوس بن ذبي القرظي[٣] لا يظهر اسم شاعر يهودي بين اسماء شعراء المخضرمين واستمر الشعراء المسيحيون من العرب يشاركون اخوانهم مشاركة غير فعّالة في ادبهم في هذه الفترة ولم يكن دورهم الادبي فعالاً او ذا قيمة .

٣ ـ الشعراء الامويون :

أ ـ البيئة الجديدة :

استقر المسلمون والعرب بعد الفتح وبعد تأسيس المدن في الامصار الجديدة وأصبحت المدينة هي التي تمثل المجتمع العربي الجديد ولم تعد البادية تمثل طابع الامة الجديدة المتحضرة .

فالمدينة او الكوفة او البصرة او دمشق اصبحت ترسم السياسة وتوجه الفقه ومنها تندفع الجيوش وفيها تحفظ الدواوين وتعطى الاعطيات وفي هذه المدن استقر أهل الفكر والقادة والرؤساء والصحابة والقراء والشعراء وأصبحت أهمية الشاعر البدوي ثانوية لانه بعيد عن الحوادث ومشاكل المجتمع الجديد فحُريث بن عتاب مثلا : « ليس بمذكور في الشعراء لانه كان بدويا »[٤] واصبحت اسماؤهم نادرة لا ترد الا في فترات متباعدة مثل تويث اليمامي[٥] ومن شابه .

ب ـ شخصية الشاعر الاموي :

وان الفترة التي مضت بين تمصير هذه البلدان والعصر الاموي هيأت نشوء جيل من الشعراء ولم يكن الشاعر الاموي يشابه الشاعر الجاهلي او الشاعر المخضرم الذى كانت حياته امتدادا لحياة زميله الشاعر الجاهلي .

فالشاعر الجاهلي كان يكسب قوته من الرعي او الغزو او الزراعة كما في الحواضر في الجزيرة العربية كالمدينة او اليمامة او من التجارة كما في مكة وكان بعضهم قادة عشائرهم وفرسانها فالشجاعة كانت الصفة المميزة لشاعر الجاهلية

والشاعر المخضرم وكان اسمه يرد في المعارك والغزوا اكثر مما يرد في اي مجال آخـر •

اما الجيل الاموي فانهم شعراء نشأوا في المدن الاسلامية الجديدة وفتحوا عيونهم على حياة مختلفة فيها النظام والقانون وفيها المسجد ـ المدرسة الكبرى في المجتمع الاسلامي ـ فظهر الشعراء الذين درسوا العلم أو الفقه أو الادب فهناك ابو الاسود الدؤلي النحوي[٦] وهو شاعر ايضاً واشتغل شريح قاضيا[٧] وهو شاعر أيضا وقد عمل الشاعر في حقول اخرى فقد كانوا ندماء ومستشارين للامراء في الامصار واصحاب آراء سياسية وكانت هناك جماعة من الشعراء بقيت تمثل اتجاه الصعاليك الجاهليين في الامصار الاسلامية ولما كانت طريقة عيش الصعاليك كنظام قد انتهت منذ زمن بعيد وأصبح القانون يلاحق الخارج عليه فقد اتجـــه هؤلاء الشعراء الى توسيع فن المدح والاسراف فيه واتخاذه مصدراً ثابتاً من مصادر العيش وهؤلاء هم الذين يكونون غالبية الشعراء الرسميين وهم شعراء يخدمون السلطة كفكرة مهما كانت هذه السلطة كالفرزدق وجرير وكثير والاخطل وكانوا يفيدون ايضاً من اثرياء المجتمع الاسلامي الذين زاد عددهم زيادة كبيرة وتركزوا في الامصار القديمة والجديدة ولظهور الحركة التعليمية وتشـــجيع الاسلام للعلم ولانصراف عدد كبير من المسلمين الى قراءة القرآن والاهتمام بلغته ومقارنته بكلام العرب فقد بدأ النحو ينشأ في البصرة والكوفة وبدأ الرواة الذين يجمعون اللغـة والأدب يجمعون ما يقعون عليه يهيأون المادة للدارسين فنشأ علم العروض ونظرات في النقد والتذوق • ولكن الملاحظ ان الفترة هذه لم تقصد بقوانينها الفنية هـذه الا التسجيل والحفظ للغة ولم يقصد بها التعليم بذاته لان المجتمع العربي لا زال سليماً في لغته فالفرزدق مثلاً كان ينظم هذا الشعر الجيد الشديد الاسر وهو لا يقرأ ولا يكتب ومع ذاك فهو يقول لاهل النحو : علينا ان نقول وعليكم ان تعربوا • واذا قصد هؤلاء فيما جمعوا الى التعليم فانما هو للناشئة من غير العرب او لأولاد العرب الذين فسدت لغتهم لانقطاعهم كليا عن التأثير البدوي عليهم •

ولتيسر المعرفة بالنسبة لناشئة غير العرب فسرعان ما رأينا نجوم شعراء من اصول غير عربية تبزغ في المجتمع الجديد تكتب بلغة العرب وتصل بادبها الى مستوى

لائق مثل اسماعيل بن يسار الشاعر العجمي[٨] .

جـ ـ الخلافات السياسية :

وظهرت في هذا المجتمع الجديد المتحضر خلافات فكرية وسياسية واتجاهات في العواطف على اساس غير الاساس القبلي القديم فقد بدأت الاحزاب تتشكل على أساس العقيدة فهناك احزاب سياسية كالعثمانية والترابية والزبيرية والخوارج وهناك افكار فلسفية بسيطة اخذت تتشكل كالقدرية والجبرية وبدأ الفكر العربي والاسلامي يتعرض لتيارات جديدة ومفاهيم غريبة لم يكن يألفها أصلا ...

وتبعا لهذا انقسم الشعراء ايضاً وراء هذه الاتجاهات المختلفة .

فمن شعراء الامويين : ابو العباس الاعمى[٩] وعبدالله بن الزبيرالاسدي[١٠] .

ومن المروانيين : عبدالله بن خارجة الاعشى «كان مرواني المذهب ...»[١١].

ومن شعراء الخوارج : عمران بن حطان والطرماح بن حكيم[١٢] .

ومن شعراء الشيعة : الكميت وابو الطفيل الغنوي[١٣] .

ومن شعراء الزبيرية : عبدالله بن قيس الرقيات[١٤] .

ومن شعراء المرجئه : ثابت قطنة ، وغيرهم كثير .

د ـ تطور الرجز :

وقويت في هذا العصر بعض الفنون الشعرية التي لم يكن نطاق استعمالها كثيرا جدا في الازمان القديمة .

فبعد ان كان الرجز فناً لا ينظم فيه الشعراء بكثرة في الجاهلية وكان ادباً من أدب المعارك في الغالب فان ضخامة المعارك الاسلامية وعدد الجيوش الضخم وكثرة الفرسان في معارك ضخمة كبيرة جعلت من الرجز اللحن العسكري المفضل الذي يتغنى به الفارس فالقعقاع كان في الحملة يرتجز وهو يدفع باصحابه الى الحرب مرددا رجزه لاثارة حماسهم ونشاطهم .

وفي العصر الاموي وكأي فن من فنون الشعر الذي اصابه التطور كالغزل والهجاء فقد أصاب فن الرجز التطور ايضاً وظهر الشعراء الذين قصدوا الرجز وجعلوه بحرا لا ينظم فيه الشاعر البيت او البيتين في المعركة وانما جعلوه بحرا تنظم فيه القصائد والدواوين .

وظهر الاغلب العجلي الذي قيل عنه انه : « اول من رجز الاراجيز الطوال في العرب »[١٥] ومثله ابو النجم وقد خلفا وراءهما عددا ضخما من الاراجيز .

هـ ـ نشاط الهجـاء :

وفي العصر الاموي ولاسباب سياسية واجتماعية ولغرض تسلية المجتمع العربي في وسيلة من وسائل الاعلام المهمة آنذاك نشط الهجاء نشاطاً ملحوظاً وادى ذلك الى نشوء فكرة « المناقضات » واشتهر في هذا الفن جرير والفرزدق وان كانت المدرسة تمثل عدداً ضخماً من الشعراء الذين اشتركوا في هذا العرض الهائل من الحرب الصورية التي كانت القبائل تتراشق فيها بالكلمات عوضاً عن السهام وتغزو بعضها بعضاً بالقصائد وتنهب سمعة بعضها بعضاً بابيات الشعر ومن هذه المدرسة : غسان بن ذهيل والبعيث والاخطل وعمر بن لجأ وسراقة البارقي والبَلْتَع وراعي الابل النميري والعباس بن يزيد الكندي وجفنة الهمداني والمرار بن منقذ وحكيم بن مُقَيَّة وثور بن الاشهب النهشلي والدَّلَهْمَس[١٦] وغيرهم كثير .

والدليل القاطع على ان هذا الهجاء لم يكن الا غزواً صوريا وحرب كلمات كثرة المقابلة بين جرير والفرزدق في صحبـــة الخلفـــاء والامراء ومحاورتهم ومجالستهم وتحريض الخلفـاء والامراء بعضهم على بعض لغرض اثارتهم كي يتسلى أمير المؤمنين أو الواليوكل يعرف انجريراً رثىالفرزدق بعدموته وافتقده !

و ـ التحلل الاخلاقي :

وكرد فعل على السلوك الاسلامي المتزمت في العقود الاربعة الاولى ولتسلط خلفاء اشداء على الشعراء ومراقبة سيرهم فقد اندفع الشعراء في العصر الاموي نحو التحلل السريع من الالتزامات الاسلامية وبشكل خاص مسألة « الخمرة » والتسيب الخلقي خاصة وان مركز الخلافة اصبح بعيداً عن الامصار وان ولاة الامصار لم يكونوا متحمسين لمراقبة هذه المسألة مراقبة جادة فعالة .

فقد كثرت اسماء الشعراء المتحللين المعاقرين للخمرة في عصر الامويين كثرة فاحشة اذا ما قورن ذلك بالشعراء المخضرمين الذين اظلتهم خلافة الراشدين .

فهناك منهم :

الاقيشر[١٧] وعمـــار ذي كبار[١٨] وبكر بن خارجـة[١٩] وحمزة بن بيض[٢٠] والشمردل بن شريك[٢١] .

وسجل لأول مرة الشذوذ الجنسي في ســـيرة الشـاعر العربي الابوين الاحوص[٢٢] وظهر فاشيا بين المخنين والمغنين في المدينة وهو يصور تطورا جديدا في المجتمع العربي وسجل الشعراء في اواخر العصر الاموي النمـــاذج الاولى للغزل بالمذكر ...

ز ـ العصبية الجنسية والدينية :

وكرد فعل على الاسلام الذى ساوى بين الاجناس السوداء والبيضاء والسمراء نظريا حيث حاول محمد (ص) تطبيق هذه المساواة جهده فقد ظهر الاعتزاز القديم بالعنصر العربي ولاسباب تتعلق بالمحافظة على السلطة شجع الامويون هذا الاتجاه وانعكس ذلك على جميع نواحي الحياة الاجتماعية والفنية . فقـد أصبح الزواج بالموالي مثلاً في عصر الامويين معرّة[٢٣] وأصبح مستحيلا تقريبا بين الاســود والعربية وتأثرت الاحكام الادبية بهذا أيضا فنصيب الشاعر مثلا هو « اشعر اهل جلدته » فقط !

وقتل سحيم ـ عبد بني الحسحاس لانه كان عبدا وقد تجرأ على الغزل ببنات العشيرة .

ومن خلال التيار الاسلامي اصبحت نظرة المسلم الى اخيه العربي من المسيحيين فيها شيء من « الحرج » ، فسرعان ما نما في نفس الشعب شيء من الطوطمية الدينية تتعلق بالنجاسة ممن يأكل او يشرب ما لا يحله الاسلام[٢٤] وقد اعتمد هجـــاء جرير للاخطل على هذه النظرة الشعبية الجديدة للاديان الاخرى في الوقت الذي نرى علية القوم يعاشرون هؤلاء الناس[٢٥] . ومما يدل على وجود نظرتين مختلفتين للمسيحيين في المجتمع الاموي قول الاخطل .

« ان العالم بالشعر لا يبالي وحق الصليب اذا مرّ به البيت المعاير السائر الجيد امسلم قاله أم نصراني » .

ح ـ شعر الغزل :

وفي العصر الاموي تطور شعر الغزل الجاهلي وانشطر الشعراء في هذا العصر

الى شطرين : شطر يمثل الاتجاه التقليدي في الوصف والتشبيه التقليدي الذي عبر فيه الشاعر عن المظاهر الخارجية لجسد الانثى واهتم به كشيء موجود عليه ان يتشوق له ويصفه ويقارنه بظواهر البيئة التي يعيشها ويحياها .

واستمرت المدرسة الاسلامية التقليدية في هذا الاتجاه وان كانت قد جددت وطورته وقاربت فيه موضوع القصة الشعرية او الرومانس الشعري Poetical Romance تقريبا على يدي امام مدرسة المسلمين من الوصاف الحسيين : عمر بن ابي ربيعة . اما الشطر الآخر من هذه المدرسة : فقد أهتم بوصف تأثير عاطفة الحب نفسها كعاطفة في نفس الشاعر او في نفس المرأة وان هذا الخلاف في اسلوب التعبير لا علاقة له كما يبدو في السلوك الجنسي عند العرب السلوك الذي لم يتغير في الاسلام عما كان عليه في الجاهلية الا في بيئات ضيقة .

فالسلوك الجنسي عند الوثنيين العرب لم يكن متزمتا كما يخيل للانسان من أول وهلة فالمعاشرة والمخادنة والخيانة الجنسية والزنا كل ذلك معروف وسلوك موجود في تاريخهم وكان للجاهليين انواع من السلوك يأباها المتحضر الآن موجودة فى كتب التاريخ .

وكان نهب المرأة المتزوجة والفتاة نظاماً معمولاً به وكذلك سبيها واسرها واستعبادها .

واراد الاسلام ان يغير سلوك المرأة العربية والرجل العربي فاوجد حلولا للزواج واباح تعدد المرأة وشدد النكير وجعل العقاب شديدا ولكن يبدو ان المجتمع العربي فضل ان يسير على العادات الجنسية الوثنية القديمة وخاصة المرأة المسلمة واشتد ذلك فى العصر الاموي للترف والغنى ومزاحمة الجواري للمرأة العربية وكثرة الشعراء وتكاثف المجتمعات العربية في الامصار ... وحماية لسمعة الاسلام ولايجاد تفسير معقول لهذا السلوك الغريب الذى سجل بشكل متواتر في علاقة الشعراء بنساء متزوجات في الاسلام فقد حاول الشعراء انفسهم ان يخلقوا مثلاً جديدة غير جاهلية وتقاليد غرامية افلاطونية نظرية وراح بعض الاخلاقيين يؤكد وجودها بما نظم هؤلاء الشعراء الذين اخذوا يعفون على آثار جرائمهم حماية لانفسهم من العقاب ورفض بعض اهل الكلام ومنهم النظام التصديق بهذا العشق

الافلاطوني وان كل ما قاله الشعراء والقصاص ان هو الا تغطية وحماية وتعمية على هذا السلوك الوثني في البيئة الاسلامية الجديدة • وهـــذه التفسيرات في الغالب تفسيرات متأخرة •

فقد حاول ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١هـ) ان يشرح هذه النظريـــة الافلاطونية في (اخبار النساء) وان يؤكدها بشواهد نظمها الشعراء انفسهم الذين هم الخصم والحكم في الموضوع •

قال :

« وكان الشرط بين العاشق ومعشوقته اذا خلوا ان يكون له نصفها من الاعلى من سرتها الى قمة رأسها يصنع فيه ما شاء ولبعلها من سرتها الى اخمصها وانشد ابن الاعرابي في مثل ذلك :

فللخِل شـطر مطلق من عقاله ولليعل شـــطر ما يُرام منيع

وانشد ابو عمرو بن العلاء في نحوه :

لهـا نصفـــان من حـل وبـل ونصف كالبحيرة لا يهـــاج !

يقول نصفها الاعلى لعشيقها طلق ونصفها الآخر عليه كالبحيرة – فانها كانت في الجاهلية حراماً لا تهاج ولا تركب ولا تمنع من كلأ ولا ماء •

وانشد الاصمعي لبعض ظرفاء العرب يخاطب بعل عشيقته :

فهل لك في البـــدال ابا زنيم واقنـــع بالاكارع والعجـوب !

ولم يصدق اهل الكلام هذه العلاقة الافلاطونية فقال ابراهيم بن بشـــارة النظام :

« قد يمكن الرجل ان يحتجز عن ذلك ما دام ليس هنـــاك الا الحديث والقبلة اما اذا ترشفها وعانقها من دون ثيابها فلابد ان ••••• وينشط واذا •••• وهو في الازار معها انتقض العزم كما قال عبدالرحمن بن ام الحكم :

دعتني اخـــاها ام عمرو ولـم اكـن اخاهـا ولـم ارضـع لهـا بلبـــان

دعتني اخـــاها بعـد مـا كان بيننـــا من الامر ما لا يفعل الاخوان ! »(٢٦)

وفي علمي ان الاسلام لم يبح مثل هذا ولكن هذا السلوك كادت تجري عليه الغالبية الكبرى من النساء والشعراء في المجتمع الاسلامي الاموي في الحاضرة والبادية وفي قصة جميل بثينة امثلة تدل حتماً على ان جميل كان بدوياً جاهلياً في سلوكه ولم يكن اسلامياً يخضع لمثل الاسلام وليس شيء من الاسلام في سلوك بثينة ومعاونتها على هذا الحب الحرام وهي في عصمة رجل آخر وان الحب العذري او الافلاطوني ان هو الا اسطورة في مفهومها الاكاديمي المعاصر وان النسبة الى « عذرة » لم يكن في معنى « العفة » في الحب وانما معناه « التسامح » في الحب مقابل قبائل أخرى ربما كانت اكثر تعنتاً في هذه الامور ...

ط ـ اثر البيئات الاجنبية :

وآخر ما اصاب الشعر الاموي من تطور هو تلون البيئة واختلافها تبعاً لما اصاب المجد العسكري العربي من نصر فقد ضربت قدم الشاعر العربي مع الجيوش الزاحفة ارضاً لم تطرقها قدم عربية من قبل • وان سرابيل القتلى وجماجمهم وعظامهم تساقطت في اصقاع لم يحلم اصحابها انهم سوف يصلون اليها وقد وصف يزيد بن مفرّغ شوق المجاهد الزاحف مع الجيوش في اقطار العالم الواسع الى وطنه واشار الى ضياع الآلاف منهم وقال :

كم بالدروب وارض الهند من قدم ... ومن جماجم قتلى ما هم قبروا
ومن سرابيل ابطال مضرجة ... ساروا الى الموت ما خاموا وما ذعروا
بقُندهار ومن تحتم منيته ... بقُندهار يرجم دونه الخبر
اجد اهلك لا يأتيهم خبر ... منا ولا منهم عين ولا اثر[٢٧] !

وهناك تعرف الشاعر الى بيئات جديدة وعادات اخرى واناس آخرين وترك ذلك كله اثره في الشعر الاموي وقد هيأت هذه الاجواء البعيدة عن السلطة نشوء ادب « الخمرة » ونشاطه وقد هيأ هؤلاء الرواد نماذج الشعر الخمري لشعراء الدولة العباسية ومن هؤلاء الشعراء الذين خرجوا عن الامصار القريبة والجزيرة الى الاقطار البعيدة في الامبراطورية الاسلامية : ابو حزابه[٢٨] والشمردل بن شريك[٢٩] والصمة القشيري[٣٠] وعبدالله بن الحشرج[٣١] ويزيد بن مفرّغ وغيرهم كثير ...

٤ ـ مخضرمو دولة بني امية ودولة بني العباس :

في الفترة التي تلت حكم هشام كانت جميع الثورات العلنيـــة قد همدت وفشلت وضعف امر الخوراج فضعف تبعا لذلك شعر الافكار السياسية وسكت شعراء الشيعة وغيرهم وانحاز الرجال الطامعون في السلطة الى التنظيم السري الذي نتجت عنه الدولة العباسية فيما بعد .

أ ـ ظواهر ادبية تختفي :

وبموت جرير والفرزدق ضعف كذلك الشعر القبلي وشعر المناقضـات والمفاخرات ولم يبق منه شيء ذو بال وبدأت العصبيات القبلية كذلك تذوب وتضعف الى حد ما وفي هذه الفترة عاش آخر شـــعراء المسيحية العرب وهو القطامي[٣٢] وبموته اختفى الشعراء المسيحيون العرب تقريباً من ميدان الشعر العربي كما اختفى اليهود قبلهم في عهد الراشدين اما باسلامهم او بانعزالهم .

ب ـ خصائص شعراء العصر الجديد :

ولم يكن شعراء هذه الفترة التي صحبها الضعف السياسي من ذوي النباهة والمجد الفني فان العصر الذي خلق جرير والفرزدق غير العصر الذى عاش فيه هؤلاء الشعراء وان ذوي النباهة من شعراء هذه المدرسة انما حصلوا على شهرتهم في اول عصر العباسيين قبل ان يموتوا . ولاسباب لا علاقة لها بفنهم بقدر ما كانت ذات علاقة بالسياسة او الزندقة او السيرة الشخصية المتحللة او شهرة الشـــخصية بالنوادر والاضحاك كشخصية ابي دلامة[٣٣] .

ج ـ القلق السياســي :

وتميز شعراء هذه الفترة بقلق التفكير السياسي من حيث وقوفهم في جانب السياسة الاموية او السياسة الجديدة في حكم بني العباس فقد أضطر بعض الشعراء عن التخلي عما مدحوا به من شعر وتنكر بعضهم لاســـيادهم الماضين مثل ابي نخيلة الحماني[٣٤] وابن هرمة[٣٥] وكان بعضهم قد انحجر وانعزل عن السياســة الجديدة كأبي عطاء السندي[٣٦] الذي هجا بني العباس .

وقد قوي في هذا العصر الميل الى شعر المجون والخلاعة والخمرة والغزل بالمذكر ومن شعراء الخمرة ابن هرمة وابن الخياط[٣٧] ومن شـــعراء التحلل

الخلقي مطيع بن اياس[٣٨] وحماد عجرد[٣٩] وغيرهما ...

د ـ الاسراف في المجون وظهور الزندقة :

وظهر فى هذا العصر الشك الديني وبدأت الافكار الفلسفية والديانات الغريبة تتخلل بين السطور الفنيّة فقد كان هناك عدد من الشعراء من ضعفاء الدين والايمان امثال ابي دلامة وابي الهندي[٤٠] وحماد عجرد ومطيع بن اياس وغيرهم وقد هيأت هذه المدرسة كثيرا من الاسس للمدرسة التي ظهرت شامخة في استقلالها الفكري عن اتجاه الدولة الديني وكان بين رجالها امثال بشار بن برد وابى نواس وغيرهما .

واذ توجه ابو نواس الى هذا التدقيق والتخصص فى وصف الخمرة فذلك يوحي دون شك الى واضعي الاسس فى هذه الموضوعات وقد ادرك ابو الفرج ومعاصروه ومن سبقهم ذلك الاثر في شعر شعراء المدرسة العباسية التي اعتمدت على شعراء الانتقال هؤلاء ولذلك فهذه المدرسة المخضرمة تعتبر حلقة الوصل بين شعراء البداوة والعروبة وبين شعر الحضارة والاممية دون شك .

هـ ـ اممية الادب العربي ونظرية وراثة الشعر :

وظهرت فى هذه الفترة كثرة كاثرة من ابناء الفرس والعبيد والامم التى دخلت فى الاسلام من الذين نظموا الشعر واجادوا واخذوا فيه الجوائز السنيّة او تركوا الاثر الجليل في الادب والرواية والنحو والفقه فمن الشعراء من غير العرب فى فترة المخضرمين العباسيين هذه : الحسين بن مطير وابن الخياط وابو دلامة وحماد عجرد وحماد الراوية وسديف مولى بني هاشم وابو عطاء السندي وابن المولى وابن ميادة (الذى كانت امه اجنبية) وابو الهندى وغيرهم كثير ...

وبهذا قد قضى ظهور هؤلاء في عالم الشعر على نظرية اعتقد بها العرب والمتعصبون لهم وحملة الشعر الجاهلي القديم ورواته وهي نظرية « وراثة الشعر » وضعفت هذه النظرية ضعفا بينا فى هذا العصر حتى لم تعد تذكر كثيرا الا في اشارة عند الكلام على ابن ميادة ومروان بن ابي حفصة .

ولما كان لم يسبق لاحد من مؤرخي الادب قبلنا ان تكلموا في هذا الموضوع فقد رأينا ان نجمع النصوص المتفرقة التي تدور هذه النظرية حولها . وسوف

نشهد انهيارها حين نرى ان اكثر شعراء بني العباس الفحول لم يكونوا من اصول عربيـــة .

فالجاهليون كما يبدو كانوا يعتبرون الخصائص النفسية والذكاء والكرم والنباهة والغفلة والشجاعة وكل هذه الصفات الاخرى تورث وتنتقل من الاب الى الابن او من الاخوال او الاعمام عن طريق الام او الاب ولذلك فقـــد قالوا : « من شابه اباه فما ظلم » ومن امثالهم : « لا تلد الحية الا الحية » .

ومن النصوص القديمة التي تدلل على اعتقاد العرب بانتقال الصفات النفسية ما قاله اعرابي لعروة بن الورد :

قال :

« ان الذي رأيت من صرامتي من قبل اعمامي وهم هذيل وما رأيت من كعاعتي فمن قبل اخوالي وهم من خزاعة .. »[٤١] .

والظاهر ان العرب فى الجاهلية صنفوا قبائلهم حسب النبل واللؤم والنذالة والكرم : فباهلة وسلول من القبائل الذليلة واستمر هذا الاعتقاد سائدا حتى فى الاسلام حتى فضل احد الاعراب الا يكون باهليا وان تكون له الدنيا وخير في دخول الجنة على ان يكون باهليا فقبل بعد تردد على الا يُعلم اهل الجنة بنسبه واذا صح هذا عن الجاهليين فاعتقد ان كل ما ذكر عن وراثة الشـــعر فمن صنع الرواة الاسلاميين في بداية العصر الاموي حيث اشـــتدت الخصومة بين العرب والاجناس الاخرى والظاهر ان هذه النظرية التي تزعم وراثة الشعر انمـا هو جواب على تساؤل معاصر لهذا الخصومات خلاصته :

ـــ هل يمكن لغير العربي ان يقول الشعر ؟ وكان الجواب الضمني : ان الشعر لا يقوله اعجمي وانما هو عربي وعربي لا يقوله كل عربي الا اولاد الشعراء وابناؤهم ومن تزوج فيهم او في قبائلهم ولذلك فقد اسموا الشاعر الذي يقول الشعر ولم يكن احد في اهله شاعراً « النابغة » . جاء في اللسان مادة (نبـغ) ما يلي :

« نَبَغ الرجل ينبُغ نَبْغا لم يكن في (ارثه) الشعر ثم قال فاجاد ومنه سمي الشعراء نحو الجعدي والذبياني وغيرهما ... »

وان من اقدم النصوص التي تتعلق بوجهة نظر الجاهليين بخصوص نظرية وراثة الشعر ما تركه الرواة من اخبار تقول : ان بشامة ابن الغدير خال زهير بن ابي سلمى لما حضره الموت جعل يقسم ماله فى اهل بيته وبين بني اخوته فاتاه زهير فقال :

« يا خالاه ! لو قسمت لي من مالك ! فقال : والله يا ابن أخي لقد قسمت لك افضل ذلك واجزله. قال ما هو ؟ قال : شعري ورثتنيه ! وقد كان زهير قبل ذلك قال الشعر وقد كان اول ما قال فقال له زهير : الشعر شيء ما قلته فكيف تعتد به عليّ ؟ فقال بشامة : ومن اين جئت بهذا الشعر ؟ لعلك ترى انك جئت بـه مُزينة وقد علمت العرب أن حصاتها وعين مائها فى الشعر لهذا الحي من غطفان ثم لي منهم وقد رويته عني »[٤٢] وكان محمد بن سلام بين الرواة ركنا مهما فى وضع أسس هذه النظرية فهو قد سبق له ان قسم الشعراء الى طبقات وفاضل بينهم على أساس المفاهيم القبلية كالفروسية وكثرة الشعر والسؤدد بالاضافة الى قول الشعر وهذه المفاهيم او بعضها هي المسؤولة عن وضع امرىء القيس على رأس قائمة شعراء الجاهلية دون شك .

ويؤكد قولنا ما قاله محمد بن سلام عن وراثة الغزل عند عمر بن ابي ربيعة عن الاصول اليمانية قال :

« وام عمر بن ابي ربيعة ام ولد يقال لها : مَجْد ، سبيت من حضرموت ويقال من حمير . قال ابو مُحَلِّم ومحمد بن سلام هي من حمير ومن هنـاك اتاه الغزل يقال : غَزَل يمانٍ ودَلّ حجازي »[٤٣] وقبل محمد بن سلام كان شعراء القرن الاول قد ساعدوا كثيرا على رسوخ هذه النظرية واهمهم الفرزدق . فقد ورد اسمه مقروناً مع كثير من النصوص التي تشير الى وراثة الشـــعر عند العرب والفرزدق متعصب مغرق في تعصبه لمضر اولاً ثم للعرب ثانياً وهو محتقر لكل من لم يكن مضرياً . فقد رفض الخروج من السجن لان بكرياً اطلق قبله ولان الذي توسط له دعي او متهم في نسبه وهذا منتهى الاعجاب والتيه .

وهو نفسه يعترف ان الشعر انما اتاه من قبل خاله عن طريق امه قال :

« قيل للفرزدق مالك وللشعر • فوالله ما كان ابوك غالب شاعراً ولا كان صعصعة شاعراً فمن اين لك هذا ؟ قال : من قبل خالي • قالوا : اي اخوالك ؟ قال : خالي العلاء بن قرظه[٤٤] •

واذا كان الفرزدق يقول بهذه النظرية ويطبقها على نفسه فقد حاول ان يراها تسري على الآخرين كذلك • قال :

« مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن ابى العاص الثقفي وهو يُنشد في المجلس شعراً فقال : من هذا الذي ينشد شعراً كأنه من اشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ! فقال : نعم ! اشهد ان عمتي ولدته ! وام يزيد بكرة بنت الزبرقان بن بدر وامها هُنيدة بنت صعصعة بن ناجية وكانت بكرة اول عربية ركبت البحر فاخرج بها الى الحكم وهو بتوّج ! »[٤٥] •

فهو اذا قال الشعر بالوراثة المباشرة عن خاله فهو قد اورث الشعر غيره بالتأثير غير المباشر •

والظاهر ان اغلب شعراء العربية فى القرن الاول كانوا يعتقدون كعامة الرواة بهذا الميل فى وراثة الشعر ويميل الحطيئة الى الاعتقاد ان الوراثة الشعرية تتم عن طريق الاب وان الام تحمل خصائص الآباء الى ابنائهم فقط • فقد داعب الحطيئة الفرزدق وقال له :

« يا غلام ! انجدت امك ؟ قال : لا بل ابي ! اراد الحطيئة ان كانت امك انجدت فقد أصبتها فولدتك اذ شابهتني فى الشعر فقال الفرزدق : لا ، بل ابي • فوجده لقناً »[٤٦] •

ويصدر نفس هذا القول عن الفرزدق لكُثير حين قال له :

« يا ابا صخر ، هل كانت امك ترد البصرة ؟ قال : لا ولكن ابي كان كثيرا يردها ... »[٤٧] •

وتقل الاشارة الى هذه النظرية كلما تقدم الزمن واضعفها كما قلنا نجوم شعراء ليسوا عرباً ولكن مع ذلك نجد صداها يتردد وتعليل الظواهر الشعرية يعتمد احياناً عليها • وهذا ما قيل عن ابن ميادة وامه فارسية او صقلبية كما تروي

الاخبار قال : « اخبرنا يحيى • قال : حدثنا حماد عن ابيه (اسحق ابن ابراهيم الموصلي) عن ابى داود قال :

ام بني نوبان – وهو ابرد ابو ابن ميادة والعوبثان وقريض وناعضة – وكان العوبثان وقريض شاعرين امهم جميعاً سلمى بنت كعب بن زهير بن ابي سُلمى ويقال : ان الشعر اتى ابن ميادة عن اعمامه من قبل جدهم زهير »[٤٨] •

وقيل مثل ذلك حين تكلم الرواة عن آل ابى حفصة وهم عائلة عريقة من الشعراء السلطانيين قال :

« قال محمد بن ادريس وحدثني ابى قال : كان مروان بن ابي الجنوب يقول : ام يحيى بن ابي حفصة لحناء بنت ميمون من ولد النابغة الجعدي وان الشعر اتى آل ابي حفصة بذلك السبب »[٤٩] •

والظاهر ان الذي حير الشعراء والرواة وهداهم الى هذه النظرية ملاحظتهم وجود عوائل شعرية في بعض القبائل وان تفسير وجود « ارومة شعرية »[٥٠] كما عبر عنها القدامى ومعناها الاصول والجذور ممكن ومقبول من غير تحميل الوراثة كل هذه المصاعب فان « البيئة » هي التي تساعد على تنمية القابليات الفنية وما احرى ان يكون اى شاعر انما نشأ متأثراً بالسماع والمعايشـــة والحفظ اضف الى ذلك الاحساس والاستعداد الفطري • وقد أشار بعض الرواة الى وجود الأُرومات الشعرية وذكروا العوائل التي ظهر فيها الشعر متتابعا بين الآباء والابناء وتفسير عامل التأثير والتأثر ميسور ومقبول • فقد قالوا عن النعمان بن بشـــير : « من المعرفين في الشعر سلفاً وخلفاً ، جده شاعر وابوه وعمه شاعران وهو شاعر واولاده واولاد اولاده شعراء »[٥١] •

وقالوا عن كعب بن مالك :

« ولكعب بن مالك أصل أصيل وفرع طويل فى الشـــعر ابنه عبدالرحمن شاعر وابن ابنه بشير بن عبدالرحمن شاعر ومعن بن عمرو بن عبدالله بن كعب شاعر والزبير بن خارجة بن عبدالله بن كعب شاعر وعبدالرحمن بن عبدالله بن كعب ابو الخطاب شاعر ومعن بن وهب بن كعب شاعر وكلهم مجيد مقدم »[٥٢]

والملاحظ انهذه النظرية لم تدخل نطاق النقد الادبي وانما دخلت نطاق الاخبار

التاريخية وتاريخ الادب والانساب واختفت فى القرن الرابع والظاهر انها حملت ميتة عبر القرنين الثاني والثالث والظاهر ان النقاد اهملوها او تجاهلوها او انها فاتتهم فلم يشيروا اليها من قريب او بعيد نفياً او ايجاباً •

٥ ـ شعراء العصر العباسي :

هناك بعض الظواهر العامة فى العصر العباسي منها ما يخص الشعراء واشخاصهم وسيرتهم ومنها ما يخص الفن الشعري وما أصابه من تبدل ومن ظهور فنون شعرية جديدة او توسيع القول منها •

أ ـ خصائص المجتمع الاممي :

فمن ابرز الظواهر فى العصر العباسي ان الغالبية العظمى من الشعراء هم من سكان المدن وخاصة الحواضر الكبيرة لانها أصبحت المخازن الوحيدة التي استودع فيها ادب العرب ولغتهم ولان اللغة والادب العربيين اصبحا علماً يتعلمهما الطالب فى المسجد والحلقات وأصبح العروض فن يدرسه الشاعر كي يكون شاعراً وعلى هذا لم تعد السليقة وحدها هي التي تخلق الشاعر •

ولما كان اكثر ابناء المدن العباسية من الاعاجم والترك والروم والزنج وان العنصر العربي منها لا يشكل الا عنصر القيادة او الجند فان اكثر شعراء العصر العباسي هم من أصول غير عربية وان اعاظم شعراء العصر العباسي هم من اصول غير عربية كأبي نواس وابي العتاهية وبشار •

وهناك قائمة طويلة من اهل القلم لم يكونوا عرباً منهم :

ابان اللاحقي وابراهيم بن سيابه وابراهيم بن العباس ـ وهو يمثل العنصر التركي ـ واحمد بن يوسف الكاتب واسماعيل القراطيسي وحسن بن وهب وابو حفص الشطرنجي وخالد الكاتب وابن دراج الطفيلي وديك الجن وزياد الاعجم وسعد بن حميد الكاتب وسعد بن وهب وسلم الخاسر وسليمان بن وهب والعطوي وعلي بن جبلة وعنان الجارية وفضل الشاعرة ومحمد بن يسير ومسلم ابن الوليد وابن مناذر ونصيب الاصغر وهو يمثل العنصر الزنجي وغيرهم كثير •

وبهذا تكون نظرية الوراثة التي نشأت فى عصر التميز العنصري زمن

والمجون والسفه حتى صارت تدخل الرجال عليها وتجمعهم على الفواحش ثم حجت في أمارة يوسف بن عمر ...!» .

(١٩) الاغانى ٢٣/٦٦ قال : « صرف اكثر ما يكسبه الى النبيذ وكان معاقراً للشرب في منازل الخمارين وحاناتهم وكان طيب الشعر مليحا مطبوعا طبعا ما جنا ... وحرم بعض الامراء بالكوفة بيع الخمر على خمارى الحيرة وركب فكسر نبيذهم فجاء بكر بن خارجة ليشرب عندهم على عادته فرأى الخمر مصبوبة فى الرحاب والطرق فبكى طويلا ... » .

(٢٠) الاغانى ١٦/١٤٣ قال : « كان الشمردل مغرما بالشراب وكان له نديمان يعاشرانه فى حانات الخمارين بخراسان ... »

(٢١) الاغانى ١٣/٣٥٢ .

(٢٢) الاغانى ٤/٢٣٨ قال : « كان الاحوص يراود وصفاء للوليد خبازين عن انفسهم ويريدهم ان يفعلوا به .... فارسله الوليد الى ابن حزم بالمدينة وامره ان يجلده مائة ويصب على رأسه زيتا ويقيمه على البلس ففعل ذلك به .... ثم يصيره الى دهلك ... »

(٢٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ٤/١٦ :

قال : « زوج ابراهيم بن النعمان بن بشير يحيى بن ابى حفصة مولى عثمان بن عفان ابنته على عشرين الف درهم فعيّر فقال :

فما تركت عشرون الفاً لقائل ... مقالاً فلا تحفل مقالة لائم
فانكَ قد زوجت مولى فقد مضت ... به سنة قبلى وحب الدراهم !

(٢٤) ديوان جرير

قال ص ١١٣ :

ولم تمسح البيت العتيق اكفها ... ولكن بقربان الصليب تمسح
يقئن صبابات من الخمر فوقها ... صهير خنازير السواد المملح

وقال ص ١٩٤ :

حجوا الصليب وقربوا قربانكم ... وخذوا نصيبكم من الخنزير

وقال ص ٢٦٠ :

الآكلون خبيث الزاد وحدهم ... والنازلون اذا واراهم الخمر

وقال ص ٢٦٢ :

والمقرعين على الخنزير ميسرهم ... بئس الجزور وبئس القوم اذ يسروا

(٢٥) الاغانى ١٢/١١٨ :

قال : « كان ابو زُبَيد نصرانياً وعلى دينه مات ... ولما صار الوليد بن عقبة الى الرقة .... صار ابو زُبَيد اليه فكان ينادمه وكان يحمل فى كل احد الى البيعة مع النصارى .. وان الوليد بن ابي مُعَيْط اوصى لما احتضر لابى زُبيد بما يصلحه فى فصحه واعياده من الخمر ولحوم الخنازير وما اشبه

ذلك فقال اهله وبنوه لابى زبيد . قد علمت انه لا يحل لنا هذا فى ديننا وانما فعله اكراماً لك وتعظيما لحقك فقدره لنفسك ما شئت ان تعيش وقوّم ما اوصى لك حتى نعطيك قيمته ولا تفضحنا وتفضح اباءنا بهذا واحفظه واحفظنا فيه ففعل ذلك ابو زبيد ذلك وقبله منهم ... » .

(٢٦) اخبار النساء : ابن قيم الجوزية ص ٤٦/٤٧ .

(٢٧) الاغانى : ١٨/١٨ اخبار يزيد بن مفرغ فى خراسان ومغامراته .

(٢٨) الاغانى ٢٢/٢٧٣ .

(٢٩) الاغانى ١٣/٣٥٢ .

(٣٠) الاغانى ٦/٤ .

(٣١) الاغانى ١٢/٢٠ .

(٣٢) الاغانى ٢٣/١٧٥ وذكر لويس شيخو فى (شعراء النصرانية بعد الاسلام) عدة من شعراء النصرانية من غير العرب الا انه خَبَطَ خبْط عشواء حيث جعل ابا تمام بين شعراء النصرانية والرجل متحمس لدينه فلا يخلو لذلك من عصبية قد تجره الى حماقات علمية .

(٣٣) الاغانى ١٠/٢٤٧ .

(٣٤) الاغانى ٢٠/٣٦١ قال : « اتصل الاغلب بمسلمة بن عبدالملك فاصطنعه واحسن اليه واوصله الى الخلفاء واحدا بعد واحد واستماحهم له فاغنوه ، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم وانقطع الى بنى هاشم ولقب نفسه شاعر بنى هاشم . فمدح الخلفاء من بنى العباس وهجا بنى امية فاكثر ... » .

(٣٥) الاغانى ٤/٣٦٩ و ٥/٢٣٤ .

(٣٦) الاغانى ١٧/٢٤٧ قال : « كان ابو عطاء من شعراء بنى امية ومدّاحهم والمنصبىّ الهوى اليهم وادرك دولة بنى العباس فلم تكن له نباهة فهجاهم وفى آخر ايام المنصور مات » .

(٣٧) الاغانى ١٩/٢٧٣ قال : « وهو شاعر ظريف ماجن خليع هجاء خبيث » ١٩/٢٨١ عن ابنه يونس : « كان لابى صديق وكان يدعوه ليشرب معه فاذا سكر خلع عليه قميصه فاذا صحا من غد بعث اليه فاخذه ... » .

(٣٨) الاغانى ١٣/٢٧٧ قال : « كان ظريفا خليعا حلو العشرة مليح النادرة ماجنا متهما فى دينه بالزندقة » .

(٣٩) الاغانى ١٤/٣٠٢ قال : « كان خليعا ماجنا متهما فى دينه مرميا بالزندقة » .

(٤٠) الاغانى ٢٠/٢٩٣ قال : « كان جزل الشعر حسن الالفاظ لطيف المعانى وانما اخمله وامات ذكره بعده عن بلاد العرب ومقامه بسجستان وبخراسان وشغفه بالشراب ومعاقرته اياه وفسقه وما كان يتهم به من فساد الدين واستفرغ شعره بصفة الخمرة وهو اول من وصفها من شعراء الاسلام فجعل وصفها وكده وقصده » .

(٤١) الاغانى ٣/٨١ .

(٤٢) الاغانى ١٠/٣١٩ .

(٤٣) الاغانى ١/٧٥ .

(٤٤) الاغانى ٢١/٤١٠ .
(٤٥) الاغانى ١٢/٢٩١ .
(٤٦) الاغانى ٢١/٣٤٨ .
(٤٧) الاغانى ٩/٣٣٦ .
(٤٨) الاغانى ٢/٢٣٤ .
(٤٩) الاغانى ١٠/٧٥ .
(٥٠) الاغانى ٢/٢٤٩ .
(٥١) الاغانى ١٦/١١٤ .
(٥٢) الاغانى ١٦/١٦٤ .
(٥٣) الاغانى ١٣/٣١٧ .
(٥٤) الاغانى ١٠/١٧١ .
(٥٥) الاغانى ١٠/١٧٢ .
(٥٦) لااغانى ٢١/٩١ .
(٥٧) الاغانى ٢١/٩١ .
(٥٨) الاغانى ١٤/١٨ .
(٥٩) الاغانى ١٨/١٠٣ .
(٦٠) الاغانى ١٩/٢١١ .
(٦١) الاغانى ٢٢/٤٣٩ .
(٦٢) الاغانى ١٤/١٨٤ .
(٦٣) الاغاني ١٦/١٨٦ « قال مرت بي جنازة ومعي ابنى ومع الجنازة امرأة تبكيه وتقول : بل يذهبون الى بيت لا فراش فيه ولا وطاء ولا ضيافة ولا غطاء ولا خبز ولا ماء . فقال لى ابنى : يا ابت الى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة . فقلت : وكيف ويلك ؟ فقال لان هذه صفة بيتنا » .
(٦٤) الاغانى ١٠/٨٠ قال : « كان المهدى يعطى مروان وسلماً الخاسر عطية واحدة وكان سلم يأتى باب المهدى على البرذون قيمته عشرة آلاف درهم والسرج واللجام المقذوذين ولباسه الخز والموشى وما اشبه ذلك من الثياب الغالية الاثمان ورائحة المسك والغالية والطيب تفوح منه ويجيء مروان وعليه فرو كبش وقميص كرابيس وعمامة كرابيس وخفا كبل وكساء غليظ منتن الرائحة وكان لا يأكل اللحم بخلا حتى يقدم اليه فاذا قدم ارسل غلامه فاشترى له رأسا فاكله .... ١٠/٨٢ بلغنى ان مروان بن ابى حفصة قال : ما فرحت بشيء قط فرحى بمائة الف وهبها لى امير المؤمنين المهدى فوزنتها فزادت درهما فاشتريت به لحما .... (و) اشترى مروان لحما بنصف درهم فلما وضعه فى القدر وكاد ان ينضج دعاه صديق له فرده على القصاب بنقصان دانق فشكاه القصاب وجعل ينادى : هذا لحم مروان وظن انه يانف ذلك . فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ما هذا ! قال : اكره الاسراف ! » .
(٦٥) الاغانى ٤/١٨ قال : (اتهمه صديق له بالشح فقال) : « يا ابا معن والله ان ما قلت لهو الحق ولكنى اخاف الفقر والحاجة الى الناس فقلت : وبم تزيد حال

من افتقر على حالك وانت دائم الحرص دائم الجمع ، شحيح على نفسك لا تشترى اللحم الا من عيد الى عيد ؟ فترك جواب كلامي كله ثم قال لي والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحما وتوابلة وما يتبعه بخمسة دراهم ! »

(٦٦) الاغانى ١٤/١٨٤ .

(٦٧) الاغاني ٢٣/٧٥ قال : « كان صالح الشعر مطبوعا يقول الشعر المستوي وهو غلام الى ان ولى المتوكل الخلافة فترك الجد وعدل الى الحمق والشهرة به .... وكسب بالحمق اضعاف ما كسبه كل شاعر كان فى عصره بالجد ونفق نفاقا عظيما وكسب فى ايام المتوكل مالا جليلا وله فيه اشعار حميدة يمدحه بها .

(٦٨) الاغانى ٢٢/٥٠ قال : « لما مات المهدى انقطع الى علّيّة .... وكان يقول لها الاشعار فيما تريده من الامور بينها وبين اخوتها وبين بنى اخيها فتنتحل بعض ذلك وتترك بعضه ... وكانت تأمر ان يقول الاشعار فى المعانى التى تريدها فيقولها وتغنى فيها ... ٢٢/٥٥ وكان الشطرنجى ينادم ابا عيسى ابن الرشيد ويقول له الشعر فينتحله ويفعل مثله ذلك باخيه صالح واخته وكذلك بعلّيّة عمتهم وكان بنو الرشيد جميعا يزورونه ويأنسون به » .

(٦٩) الاغانى ١٣/١٤١ قال : « عرف مذهب الرشيد فى الشعر وارادته ان يصل مدحه اياه بنفى الامامة عن ولد علي بن ابي طالب عليهم السلام والطعن عليهم وعلم مغزاه فى ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن ابى حفصة وتفضيله اياه على الشعراء فى الجوائز فسلك مذهب مروان فى ذلك ونحا نحوه ولم يصرح بالهجاء والسبب كما كان يفعل مروان ولكنه حام ولم يقع واوما ولم يحقق لانه كان يتشيع وكان مروان شديد العداوة لآل ابى طالب وكان ينطق عن نيّة قوية يقصد بها طلب الدنيا فلا يبقى ولا يذر » .

(٧٠) الاغانى ٢٣/٢٠ قال : « ان ابان بن عبدالحميد عاتب البرامكة على تركهم ايصاله الى الرشيد وايصال مديحه اليه فقالوا : وما تريد من ذلك ؟ قال : اريد ان احظى منه بمثل ما يحظى به مروان بن ابى حفصة فقالوا له : ان لمروان مذهبا فى هجاء آل ابى طالب وذمهم به يحظى وعليه يعطى فاسلكه حتى نفعل . قال : لا استحل ذلك قالوا : فما نصنع لا تجيء امور الدنيا الا بما لا يحل ... » ٢٣/٣٥ قال ابو عبيدة : « لقد اغفل السلطان كل شيء حين اغفل اخذ الجزية من أبان اللاحقى وهو واهله يهود وهذه منازلهم فيها اسفار التوراة وليس فيها مصحف واوضح الادلة على يهوديتهم ان اكثرهم يدعى حفظ التوراة ولا يحفظ من القرآن ما يصلى به » .

(٧١) الاغانى ١٠/٧٤ قال : « وكان مروان ابخل الناس على يساره وكثرة ما اصابه من الخلفاء ولا سيما من بنى العباس فانه كان رسمهم ان يعطوه بكل بيت يمدحهم به الف درهم . » ١٠/١٠٠ « ... حدثنى صالح بن عطيه الاضجم قال لما قال مروان :

ابى يكون وليس ذاك بكائن لبنى البنات وراثة الاعمام

لزمته وعاهدت الله ان اغتاله فاقتله اى وقت امكننى ذلك ... حتى خلا لى

البيت يوما فوثبت عليه فاخذت بحلقه فما فارقته حتى مات فخرجت وتركته»

(٧٢) جاء فى « نور القبس فى مختصر المقتبس » ص ١٣٨ ٠

قال عنه الرشيد يذكره امام الاصمعى : « الا ترى هذا الدعى بن الدعى ٠ اليهودى بن اليهودى عبد بنى حنيفة مروان بن أبى حفصة ٠٠٠ الخ » ٠

(٧٣) الاغانى ١٠/٢١٦ قال : « كان ينحو نحو مروان بن ابى حفصة فى هجاء آل ابى طالب ٠٠٠٠٠ وسمعه ابو العيناء يوماً يطعن على علىٍ ابن ابى طالب (ر) فقال له :

انا ادرى لم تطعن على عليّ امير المؤمنين ٠ فقال له : اتعنى قصة بيعه اهلى من مصقلة بن هبيرة ؟ قال لا ٠ انت اوضع من ذلك ولكن لانه قتل الفاعل فعل قوم لوط والمفعول به وخصّ بالمتوكل حتى صار من جلسائه ثم ابغضه لان كان كثير السعاية اليه بندمائه والذكر لهم بالقبيح عنده واذا خلا به عرفه انهم يعيبونه ويثلبونه وينقصونه فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة فنفاه بعد ان حبسه » ٠